

ما لنا تجزع ولو أنه كان لحوشيت أن تكون جزوعا
قد شكرنا يداً تجافت عن الأصل وإن جثت الغصون فروعا
وقوله:

والمصيبات لا يصبين سوى الأخيار مذّا إذا ولجن الربوعا
وإذا لم يكن سوى الموت فالماضى بطيئا كمن يموت سريعا
ويموت مؤدب ولده فيرى من الحق عليه أن يرثيه بقوله:
إن كان غيبك التراب الأحمر وحللت مرتا لا يزورك زورُ
فلقد جزعتُ على فراقك بعد ما طنّوا بأزى عنك جهلاً أصبر
ثم ينساق في تيار الزهد والتصوف إذ يقول:

خذ بالبنان من الحياة فإنما هو عارض متكشف متحسّر مبدّر ودع الكثير فانهما لهماومه جمع
النصار إلى النصار منذر(1)

وكأنما ظل الحياة على الفتى ظل أتاها في الهجير مهجّر
ثم ذكر أن حرمة الأدب تقوم مقام حرمة النسب، وأن أصله الأعجمي لا يزرى به؛ فإن للأعاجم
المثقفين فضلاً يعلو بهم على كثير من العرب الذين لم ينهلوا من معين العلم:
إن لم تكن من عنصري وأرومتي فلحرمة الآداب فينا عنصر
أو لم تكن للعرب فيك ولادة فالمعربون كلامهم بك بصّروا
ماض شيئاً من زمته أعاجم ولديه آداب الأعارب تسطر
ولكم لنا عرب الأصول تراهم عميا عن الإعراب لم يستبصروا
ومن أشهر مراثيه رثاؤه لأخيه الرضى، وكان الرضى أصغر سناً منه بأربع سنوات، وقد جزع
المرتضى لوفاته جزعاً شديداً، لم يستطع أن ينظر إلى أخيه في السياق، ولا محمولا على
أعناق الرجال، أو يشهده وقد دلّى في قبره وأهيل

(1) النصار: الذهب، والمبدر: الذي يجمع المال بدرا، والبذرة: مقدار من المال يوضع في كيس، قيل عشرة آلاف درهم، وقيل غير ذلك.

